المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579
مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

# Elderly women in social care institutions: Field negotiation and strategies for gaining trust

**Abdelilah Mahdad[1]; Hakima Laala[2]**
[1] Faculté des lettres et sciences humaines Mohammedia, Université Hassane II
[2] Faculté des lettres et sciences humaines Mohammedia, Université Hassane II
*Email 1 :abdelilah.abdelilah5@gmail.com*
*Email 2 : hakimalaala@gmail.com*

**Abstract:** Social care institutions for the elderly constitute a complex social world characterized by a multiplicity of actors and governed by various logics (legal, social, cultural, etc.) this complexity makes accessing these institutions a challenging endeavor. Furthermore, conducting interviews with elderly women carries a particular sensitivity, as this social group is characterized by physical, psychological, and social vulnerability, which raises significant scientific and ethical challenges.

This paper employs a qualitative approach, based on a reflexive analysis of a fieldwork experience that included 79 research participants across five social care institutions for the elderly. The study relied on both observation and in-depth interviews. Accordingly, this paper seeks to present our field experience, highlighting the process of the means of enhancing field legitimacy, while examining low ethical legitimacy is perceived from an institutional logic percpective. Furthermore, it sheds light on the management of scientific and field distance, considering the privacy of participants, the vulnerability of elderly women, and adherence to the ethics of scientific research.

The study concluded that accessing and engaging with the field is contingent upon the ability to deconstruct institutional logic and to treat emotions as field resources as tools for understanding rather than methodological obstacles. Moreover, building trust with the elderly women participating in the study requires flexibility in managing symbolic distance and transforming the interview from a mere data collection tool into a space for recognition and listening. This approach contributes to transforming relational difficulties into analytical resources that enrich sociological knowledge regarding the experience of aging within social care institutions.

**Keywords:** Elderly women, Social care institutions, Vulnerability, reflexivity.

المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579
مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

# النساء المُسنات بمؤسسات الرعاية الاجتماعية:
# التفاوض الميداني واستراتيجيات اكتساب الثقة

**عبد الإله مهداد[1]؛ حكيمة لعلا[2]**

[1] جامعة الحسن الثاني
[2] جامعة الحسن الثاني
الايميل1: *abdelilah.abdelilah5@gmail.com*
الايميل 2: *hakimalaala@gmail.com*

**ملخص:** تُشكل مؤسسة الرعاية الاجتماعية للأشخاص المسنين عالما اجتماعيا، يتسم بتعدد الفاعلين، ويخضعُ لعدة منطقيات (قانونية؛ واجتماعية؛ وثقافية...)، وهو ما يجعلُ الولوج لهذه المؤسسات، أمراً في غاية الصعوبة، كما أن إجراء المُقابلات مع النساء المُسنات تتسِمُ بالخصوصية، إذ أن هذه الفئة الاجتماعية تتسِمُ بالهشاشة الصحية والنفسية والاجتماعية، مِما يطرحُ إشكالات إبستيمولوجية وأخلاقية.

وتعتمد هذه الورقة على المنهج الكيفي، قائم على التحليل الانعكاسي لتجربة ميدانية شملت 79 مشاركا في البحث، بخمس مؤسسات للرعاية الاجتماعية للأشخاص المسنين، وبالاعتماد على كل من الملاحظة والمقابلة المعمقة. بالتالي تُحاولُ هذه الورقة تقديمَ عرضٍ حول تجربتنا الميدانية، مُحاولِين تسليط الضوء على سيرورة التفاوض الميداني للولوج لهذه المؤسسات، وسُبُل تعزيز الشرعية الميدانية، وكيف تُفهمُ الشرعية الأخلاقية من زاوية المنطق المؤسساتي. كما نُحاولُ تسليط الضوء على تدبير المسافة العلمية والميدانية، والأخذ بعين الاعتبار خصوصية المشاركين في البحث، وهشاشة النساء المُسنات، واحترام أخلاقيات البحث العلمي.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الولوج للميدان والانخراط فيه، مرتبط بالقدرة على تفكيك المنطق المؤسساتي، والاهتمام بالمشاعر كموارد ميدانية، وكأداة للفهم وليس كعائق منهجي. كما أن بناء ثقة النساء المسنات المشاركات في البحث أثناء إجراء البحث الميداني يتطلب مرونة في تدبير المسافة الرمزية، وتحويل المقابلة من أداة لجمع المعطيات إلى فضاء للاعتراف والانصات، مِمَا يُساهم في تَحوِيلِ الصعوبات العلائقية إلى موارد تحليلية تُثري المعرفة السوسيولوجية حول تجربة الشيخوخة داخل مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

**الكلمات المفتاحية:** النساء المُسنات، مؤسسات الرعاية الاجتماعية، الهشاشة، الانعكاسية.

## المقدمة: الشيخوخة في سياق التحولات السوسيوثقافية

تأتي هذه الورقة في سياق الاهتمام المتزايد بمرحلة الشيخوخة بالمغرب، خصوصا بعد الإحصائيات الرسمية للسكن (خصوصا سنة 2010 ثم 2014)، وما أثارته من جَدَلٍ حول ارتفاعِ عَدد الأشخاص المُسِنّين في المغرب، حيث أفصَحَتْ (المندوبية السامية للتخطيط، 2017) عن العدد المتزايد للأشخاص البالغين من العمر الستين أو أكثر، والذي حددته في 9,6% من مجموع السكان. وصولا إلى آخر إحصاء رسمي سنة 2024، حيث سيحصي المغرب حوالي 5.027 مليون شخص مسن، أي بنسبة بلغت 13.8% من إجمالي السكان، مع ارتفاع عدد النساء المسنات على حساب الرجال المسنين، حيث مثلن سنة 52.1% من مجموع الأشخاص المسنين (المندوبية السامية للتخطيط، 2025، ص10-11).

ليبدأ الاهتمام السياسي بفئة المُسِنّين كفئة اجتماعية هشة في المجتمع، بدءً من التفكير في إحداث بنية داخل هيكلة وزارة "التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة" خاصَّة بالأشخاص المُسِنّين، كما واكبَ هذه الإحصائيات بروز العديد من التقارير الرسمية وغير الرسمية، التي حاولت تشخيصَ مرحلة الشيخوخة في المغرب، والتحدِّيات الجَديدة التي باتت تُواجِهُها هذه الفئة الاجتماعية، خصوصا في سياق التحولات التي سيعرفها المجتمع المغربي على المستوى الاجتماعي والقيمي، والتي ستتمظهر في مختلف مؤسساته السياسية؛ والثقافية ؛والاجتماعية، ولم تسلم الأسرة من هذا التحول، إذ أضحى عدد الأسر النووية في تزايد مضطرد مقارنةً بالأسر الممتدة التي باتت تتراجع بعد كل إحصاءٍ رسمي، مما يعني أن التحولات ستشمل أيضا القيم التضامنية والتكافل الاجتماعي التي ارتبطتْ بالأسرة الممتدة، مما سيؤثر أكثر على وضعية الأشخاص المُسِنّين بالمغرب بشكل عام، ووضعية النساء المُسِنَّات بشكل خاص.

في إطار هذا التغير المجتمعي وما واكبه من تغير قيميّ ستظهر عدة قضايا وإشكالات مرتبطة بهذه الفئة في بالمجتمع المغربي (فئة المُسِنَّات)، خصوصا وأن نسبة أمد الحياة عَرفت تمدُّدا في المجتمع المغربي على حساب نسبة الولادات، إذ توقعت إسقاطات السكان والأسر للمندوبية السامية للتخطيط سنة 2015 الصادرة عن (وزارة التضامن والتنمية الاجتماعية والمساواة والأسرة، 2020، ص12)، تزايد عدد **الأشخاص** المُسِنّين بوتيرة تقدر بـ 3.3% في كل سنة، لتنتقل من 3.2 مليون سنة 2014 إلى 10.1 مليون سنة 2050، أي بنسبة 23.2% من مجموع السكان بالمغرب، كما يتوقع أن يصل عدد المُسِنَّات حوالي 5.4 مليون سنة في سنة 2050، أي بنسبة تتجاوز الـ 50%.

في هذا السياق، تأتي أهمية تناول تجربة الشيخوخة لدى النساء في وضعية صعبة، وبالضبط، النساء المُسِنَّات المقيمات بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، إذ أنه بالرغم من البرامج والسياسات العمومية التي تهدفُ إلى إدماجِ النساء المُسِنَّات بالمجتمع وتَمْكينِهم، إلا أن هذه الفئة الاجتماعية مازالت تعيشُ هَشاشة اجتماعية واقتصادية وصحية في وسَطٍ اجتماعي يُساهِمُ في إقصائهن وفي مؤسسات تساهم في تعزيزِ هَشاشتِهِن. وهو ما يَجْعَلنا نَتَناولُ مؤسسة الرعاية الاجتماعية

للأشخاص المُسِنّين، مُتَسائِلينَ حولَ أدوارِ هذه المؤسسة في إعادة إدماجِ النساء المُسِنَّات وتَعزيزِ استقلاليتهن وتمكينهنَّ في ظلِّ التحديات التي يُواجِهُنَها، خُصوصا وأن لِمُؤسسات الرعاية الاجتماعية حُمولة رمزية وتمثلات ودلالات اجتماعية وثقافية تُعَرِّضُ نُزلائها إلى وصم اجتماعي، وهو ما يجعلنا نتساءلُ حولَ مسارات النساء في اتخاذ قرار الولوج لهذه المؤسسات وسيرورة الولوج إليها، بالإضافة إلى الحياة المعيشية داخلها، وطبيعة العلاقات بين النزلاء وبين مقدمي الرعاية، ودورُها في الحدِّ من الهشاشة الاجتماعية أو تَعْميقها. وهو ما يكشف لنا في نفس الوقت مدى استجابة السياسات الاجتماعية لحاجيات هذه الفئة الاجتماعية.

وتتمحور إشكالية هذه الورقة في فهم ميكانيزمات التفاوض الميداني وبناء الثقة داخل فضاء مؤسساتي يتسم بالرقابة والوصم، ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على مقاربة كيفية، تقوم على المنهج الوصفي والتحليل الانعكاسي، وتكون مجتمع البحث من 50 امرأة مسنة بمؤسسات الرعاية الاجتماعية بجهة الشرق، بالإضافة إلى فاعلين جمعويين وباحثين، وبلغ مجموع العينة 79 فردا، وخلال التحقيق الميداني تم الاعتماد على الملاحظة، باعتبارها تقنية مناسبة لرصد المشاركات في البحث داخل المجال المؤسساتي. كما توفر للباحث الفرصة لاكتساب أفكار أخرى إضافية لأنها توفر ولوجاً تجريبيًا ومُلاحَظاً إلى عالم المعنى بشكل مباشر (Ritchie, 2003).

كما تم الاعتماد على المقابلة المعمقة، نظرا لما تتميز به من مرونة على مستوى الأسئلة، والتي تفسح المجال للنساء المُسِنَّات المشاركات في البحث للحديث بحرية بدون أسئلة موجهة ومحددة والتي تقيّدُ أحاديثهن، وتضمنت أسئلة غير موجهة، لإتاحة مساحة كافية للمشاركات في البحث لسرد تجاربهن بعفوية، بالإضافة إلى أسئلة نصف موجهة، من أجل ضبط مسارات الحديث والتركيز على المحاور الأساسية للدراسة كلما اقتضت الضرورة إلى ذلك.

بالتالي سنحاول في هذه الصفحات استحضارَ تجربتنا الميدانية المتعلقة بالولوج لمؤسسات الرعاية الاجتماعية، والمقابلات المعمقة مع نزلائها والعاملين بها، كما سنحاول أن نستحضر مفهوم "الانعكاسية" (réflexivité)، وذلك عبر استحضار العلاقة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، باعتبار أن العلاقة بينهما ليست علاقة ميكانيكية وأحادية، وأن التركيز يجبُ أن ينصب أيضا على الذات المنتجة للمعرفة السوسيولجية (لكعشمي، 2021).

## 1- المسألة الاجتماعية وهشاشة النساء المُسنات

إن إعطاء الظاهرة اسماً ما هو إضفاء هُويّة معيّنة عليها، وهنا تتجلى ضرورة الانتباه إلى عملية "التسمية" في سياق البحث الاجتماعي، إذ أن الاسم يسمحُ لنا برؤية الظاهرة وبالتالي إمكانية مُعايَنتها. كما أن كل اسم إلا ويَحملُ زَخَماً من القيم

والمعايير، مِمَّا يعني أن مفاهيم من قبيل: الشيخوخة، الهشاشة، تَختلفُ باختلافِ الأفرادِ والزمن والسياق كما أشرنا سابقا، وهو ما يجب الانتباه إليه كذلك حين نتناول فئة الأشخاص المسنين، أو الأشخاص في وضعية هشّة.

### 1.1- النساء المُسنات فئة هشَّة

تُميز الوثائق الدولية المتعلقة بالسياسات الاجتماعية للأشخاص المُسِنّين بين كلٍّ مِنَ "العمر الثالث" الذي يتراوح بين 60 و65 سنة، و"العمر الرابع" الذي يَضُمُّ الأشخاص المُسِنّين الذين تجاوزوا سن 85 سنة. (المرصد الوطني للأشخاص المسنين، 2018، ص11).

إلا أن الأفراد لا يُصْبِحونَ مسنين خلال عُمْرٍ مُحَدَّد، بل مع تَوقُّفِهِم عن الانخراط في سوق العمل، ومع تغيرات التي تحدث على مستوى مصادر الدخل، ومغادرة الأبناء لمنزل الأسرة، والحزن المتكرر بسبب وفاة الأحباء (CERED, 2006, pp 15-17). هذا بالإضافة إلى انقطاع الطمث بالنسبة للنساء، وولادة الأحفاد الذي يحول دورها من "أم" إلى "جدة"، وأحيانا ولوجها لمرحلة الشيخوخة مُرتبِطٌ بِولوجِها لمُؤسسة الرعاية الاجتماعية.

وتتعدَّدُ التسميات الاجتماعية لـ"المرأة المسنة" فمن خلال المقابلات الميدانية حصرنا 16 تسمية، وتراوحت هذه التسميات بين تسميات ذات حمولة دينية كالـ"حاجة"، وثقافية كـ"ميمة" "خالتي"؛ و"الجدة"، ورغم أن بعض الأسماء كانت بمثابة أوصاف حيادية كالـ"مرأة"؛ و"الكبيرة"، إلا أنها كانت التسميات ذات حمولة (سلبية) ووصما في سياقات معينة، بالإضافة إلى أسماء أخرى كالـ"شارفة"؛ و"الشيبانية"...

وقد تؤدي بعض التسميات التي تَحملُ دلالات سلبية، إلى إدامة الصور النمطية والأحكام المُسبقة حول النساء المُسِنَّات، كما أنها قد تَختزلُ هويتهُنَّ في أعمارهن، بالإضافة إلى ذلك، قد تَختلفُ التسميات التي تفضلها بعض النساء من امرأة إلى أخرى(INSPQ, 2024, P.21) .

هذا التعدد للأسماء يعكسُ تنوع تجربة الشيخوخة بين الأفراد، والتفاوتات على مستوى اختبارهم لهذه التجربة، والتي تتراوح بين الاحترام والتقدير وبين الشفقة والسخرية، مما يجعل الأسماء مرتبطة بسياقات اجتماعية معينة.

لكن كيفَ يمكن اعتبار النساء المُسنات فئة هشّة؟ تَعتبِرُ الفيلسوفة الفرنسية "جوديث بتلر" (judith butler) الهشاشة خاصِيَّة أنطولوجية للوجود الإنساني، وتتجلى في الترابط المُتبادل والهشاشة الجسدية أمام القوى السوسيواقتصادية والسياسية (Mulaj, 2023, P. 493). إلا أن هذا التعريفُ يمكن اعتباره تعريفا فلسفيا، وتعميما للتجارب الاجتماعية، دون الأخذ بعين الاعتبار الفوارق الاجتماعية والطبقية.

وإذا كانت الهشاشة فلسفيا حالة متأصلة في الحياة المعيشية للأفراد، مُشَكِّلةً بذلك الوجود الإنساني المُشترك، فسوسيولوجيا يُنظر إلى الهشاشة على أنها حقيقة اجتماعية تَسمَحُ لنا بتسليط الضوء على آثار البنية الاجتماعية على

الأفراد، حيث أنها تكشف عن الكيفية التي تؤثر التوازنات الطبقية والمؤسساتية على المسارات الحياتية للأفراد. بالتالي فهي مرتبطة بمؤشرات مُحَدَّدَة، وشُروط مُعينة، كما أن دَرجتها تتأثرُ بالمُتغيِّرات الثقافية والتاريخية والسِّمات المُرتبطة بالأفراد.

كما تُشيرُ الهشاشة الاجتماعية إلى عَدم قُدرة الأفراد أو الأُسَرْ أو الجماعات على مُقاومة أو مُواجهة تأثيرات البيئة الاجتماعية والاقتصادية غير المستقرة (Borderon & **Oliveau. 2016, p.2**). أي التعرض المحتمل للاستبعاد الاجتماعي، وعدم القدرة على التكيف مع مختلف الضغوط الاجتماعية والاقتصادية.

وتُحَذِّرُ بعض الدراسات النسوية من الاختزال الأنطولوجي (Réduction ontologique) لمفهوم الهشاشة، فتحديد الفئة الهشة هو تصور أنثروبولوجي قائمٌ على العَجْزِ والنُّقْص، وتَبرير وضعية الفئات الهشة، بالتالي أهمية التركيز على سيرورة الهشاشة (La vulnérabilisation) وذلك عبر استحضار السياق الاجتماعي والتاريخي والسياسي الذي يُساهم في هشاشة الأفراد، ومُساءلة البنية والتنظيم الاجتماعي الذي يُنْتِجُ ويُعِيد إنتاجَ الهشاشة الاجتماعية (Portets, 2018).

وهو ما حَاولَ "روبيرت كاستل" (Robert Castel) القيام به خلال مشروعه السوسيولوجي، حيث أنه اعتبر أن الهشاشة هي وضع اجتماعي ناتج عن تآكل الحماية والروابط الجماعية، وهي منطقة وسيطة بين منطقة الاندماج ومنطقة الانفكاك الاجتماعي، وتَجْمَعُ منطقة الهشاشة بين هشاشة العمل وهشاشة دعم القُرْب (supports de proximité) (Castel, 1995, p7).

تَكْمُنُ أهمية المسألة الاجتماعية، في كونها تطرح سؤال الفئات الهشة، بما فيهم النساء المُسِنَّات، تتساءل عن هوية هذه الفئات، ومن أي جاؤوا، وكيف بلغو مرحلة الهشاشة، ومصيرهم، كما تطرح سؤال الحماية الاجتماعية. ففي مقابلة مع "كاستل" يشير إلى أن الفرد اليوم أصبح عامل بشكل نسبي، ويتلقى الإعانة بشكل نسبي أيضا، حيث هناك خلط بين العمل والمساعدة. كما أن بعض أشكال التضامن المؤسساتية قد تتحول إلى آلية أو جهاز مؤسسي يكرس الهشاشة ويُمَأسِسُها (Castel, 2010). وهو إطار تفسيري كفيل بأن يجعلنا نفهم مسارات النساء المُسِنَّات، ومسار الهشاشة، ودور المؤسسات الوسيطة بين الأفراد والمجتمع في التخفيف من درجة هشاشة هذه الفئات الاجتماعية.

## 2- النساء المُسنات والانعكاسية السوسيولوجية

يطرح الاشتغال الميداني مع الفئات الهشة سؤالا منهجيا وإبستيمولوجيا حول شروط إمكانات المعرفة، فالهشاشة كتصنيف، هي نِتاج خطابات سياسية واجتماعية تنتجها مختلف المؤسسات الاجتماعية، بالتالي، فالباحث لا يواجه "واقعا" موضوعيا، بل يُواجه سيرورة من التصنيفات التي أنتجت ضمن خطابات اجتماعية، وتحديدات معيارية.

بالتالي لا يمكن فهم واقع النساء المُسنات بدون ممارسة "انعكاسية سوسيولوجية" والتي تُخضِعُ كلا من الباحث وتجربته للملاحظة والتحليل، فالبحث العلمي يتطلب "موضعة الذات المموضعة، والذات المحللة أي باختصار موضعة الباحث لنفسه" (بورديو، 2020، ص141). والهدف من ذلك هو كشف "الشروط الاجتماعية لإمكان التجربة" (بورديو، 2020، ص142)، أي سيرورة تفكيك الحتميات التي قد تؤثر على موضوعية الباحث، وهو ما يجعلنا نتجاوز الملاحظة الخارجية أثناء التحقيق الميداني إلى استحضار العلاقة التفاعلية بين كل من الذات العارفة وموضوع المعرفة.

فالباحث في مؤسسات الرعاية الاجتماعية ليس مُراقِباً مُحايدا فقط، بل هو أيضا فاعلٌ يتأثر بخلفيته الأكاديمية وبموقعه في الحقل العلمي، فالعلاقة إذن بمجتمع البحث ليست علاقة أحادية. كما أن مختلف ممارسات النساء المُسنات داخل هذه المؤسسات ليست بالممارسات العفوية بقدر ما هي منطق عملي يومي وجبَ على الباحث مُحاولةَ فهمِهِ، واستحضار أبعاده، بدلا من الإسقاط النظري الذي قد يختزل هذه الممارسات.

## 2- مراحل التحقيق الميداني

اِعتمدت هذه الدراسة على المنهج الكيفي، لملاءمته لطبيعة الإشكالية المرتبطة بتجربة الشيخوخة لدى النساء المُسنات في سياقات الهشاشة، وما تتضمنه هذه التجربة من تمثلات اجتماعية، وتضمن مجال البحث مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المسنين بجهة الشرق (وجدة، بركان، الناظور/ سلوان[1]، تاوريرت، جرسيف)، كما أننا لجأنا إلى العينة غير الاحتمالية، وبالضبط عينة المواءمة (Convenience samples)، وشملت عينة البحث: 50 امرأة مُسنة، وتراوحت أعمارهم ما بين 56 إلى غاية 86 سنة، إلا أن الوقوف على متغير النوع الاجتماعي وتأثيره على مسارات الحياتية للنساء المسنات جعلنا نَستحضر أيضا تجارب الرجال المُسنين، وهو ما نُضمِّن في العينة 7 مسنين رجال. كما شملت العينة أيضا العاملين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، وتضمنت 4 مديرين من أصل 5، بعد رفض مدير أحد مؤسسات الرعاية إجراء المقابلة، بالإضافة إلى مُنَظِّفتين، وبواب أحد المؤسسات، ثم 3 عاملين اجتماعيين، و4 عاملين اجتماعيين متدربين.

بالإضافة إلى 6 أفراد من العينة كانوا باحثين وجمعويين، وشملت: الزهراء عزاوي مديرة دار الفتاة-الحي الحسني بوجدة، والمسؤولة عن برنامج "المشاءات" الذي يستهدف فئة النساء المسنات، بالإضافة إلى ارتباطها الجمعوي بمؤسسة رياض المسنين.

[1] تم نقل مقر مؤسسة "دار التكافل" من مدينة الناظور إلى مدينة سلوان، يوم الأربعاء 19 أبريل 2023، أي أثناء اشغالنا الميداني.

أي ما مجموعه 79 فردا من أفراد العينة، وقد كانت كلها مقابلات ميدانية خارج أو داخل مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المسنين، باستثناء مقابلتين مع باحثين، حيث تمت عبر تطبيق "الواتس آب"، عبر توجيه أسئلة مكتوبة وتلقي الرد عليها.

بدأ التحقيق الميداني منذ بداية شهر يناير 2022 إلى غاية مارس 2022، حيث أجرينا عدة مقابلات ميدانية استكشافية، مع نساء مسنات خارج مؤسسات الرعاية الاجتماعية، بتنسيق مع بعض جمعيات المجتمع المدني، وقد كشفت لنا هذه المقابلات الأولية مدى تنوع فئة النساء المُسنات، مما جعلنا نُعدِّلُ من سؤال البحث، وأن نركز بشكل خاص على فئة النساء المسنات بمؤسسات الرعاية الاجتماعية.

كما واجهتنا خلال هذه المرحلة صعوبات متعلقة بترجمة المفاهيم وكيفية استعمالها، خصوصا وأنها أنتجت في سياقات مختلفة عن سياق بحثنا، بدءً من مفهوم "المسنين"، "الرعاية" و"الهشاشة".

بعد إعادة تحديد سؤال البحث وعينة البحث بدقة، بدأنا بإجراء ملاحظة استكشافية، بدءً من شهر ماي سنة 2022 إلى غاية نهاية شهر يوليوز من نفس السنة، حيث استغرقت أزيد من شهرين، كان الهدف منها التعرف عن كثب على ميدان البحث، وطريقة تحديد مجال البحث، والعينة المستهدفة حيث تم خلالها زيارة مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المُسِنّين زيارات أولية، والتعرُّفِ على مسؤوليها ومَرافِقِها، بالإضافة إلى الوقوف على أبرز المشاكل التي تواجهها المؤسسات... لأبدأ بعدها صياغة دلائل المقابلات والملاحظة، وبداية عملية جمع المعطيات الميدانية.

وبدأت الملاحظة المنهجية بداية شهر شتنبر 2023 حيث تم إجراء خلالها المقابلات الميدانية بالمؤسسات الخمس، وكانت آخر مقابلة تم إجراؤها بالمؤسسات 28 يوليوز 2024. كما أضفنا بعض المقابلات خارج مؤسسات الرعاية الاجتماعية، والتي شملت باحث في مجال التاريخ الاجتماعي بمدينة وجدة "بدر المقري" و"جلطي قويدر" الذي كان مديرا سابقا لمؤسسة "رياض المسنين" بوجدة، والتي كانت آخر مقابلة بتاريخ 9 أبريل 2025.

## 3- سيرورة الولوج لمؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المسنين وبناء الثّقة

حاولنا بدايةً تحديد أشكال مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المُسنين، كما حددنا أشكال المؤسسات المخصصة للإيواء، قبل أن نستقر على مؤسسات الرعاية الاجتماعية الحاصلة على ترخيص من وزارة التضامن والادماج الاجتماعي والاسرة، كما حددنا الجهة الشرقية كمجال للبحث، وقد تضمنت الجهة خمس مؤسسات حاصلة على ترخيص.

إذ كان من الصعب ولوج هذه المؤسسات، نظرا للإجراءات القانونية المتطلبة، والمتمثلة في الرخصة الميدانية من جهة، ومن جهة أخرى بطء الإجراءات القانونية لصدور الرخصة، وعدم كفايتها أحيانا، مما جعلني أبحث عن طرق أخرى

للولوج إليها، والمتمثلة في الاعتماد أساسا على العلاقات الاجتماعية، ومدى مرونة بعض مديري المؤسسات، وهو أمر لم ينجح مع جميع المديرين، مما جعلني أكتفي بثلاثة مؤسسات من الجهة الشرقية بداية شهر ماي 2023، قبل أن أتمكن من ولوج المؤسستين المتبقيين إلى غاية شهر دجنبر من نفس السنة، أي بعد أزيد من تسعة شهور من بداية جمعي للمعطيات الميدانية.

### 1.2- بناء الثقة والمسافة الرمزية

إن الولوج القانوني للمؤسسة لا يكفي لجمع المعطيات الميدانية، حيث واجهتُ رفضاً آخراً، إذ أن أغلب النساء المُسِنَّات كنَّ يرفضن الحديث حين يتعلق الأمر بإجراء بحث ميداني، إلا بعد استشارة العاملين بالمؤسسة، كما أنه تم تقديمي في العديد من المؤسسات لا كباحث، بل كمفتش، أو كموظف، وهو ما أثر على تفاعلاتنا مع النساء المُسنات.

كما أن المؤسسات كانت تُخضع النساء لرقابة غير مباشرة، إذ لم تحترم خصوصية البحث الميداني، فعلى سبيل المثال حاولنا تخصيص شهري فبراير ومارس من سنة 2023، لإجراء مجموعات بؤرية بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، إلا أنها قوبِلَتْ بالرفض من طرف بعض مؤسسات الرعاية الاجتماعية، كما أن العلاقات المركبة بين النزيلات والعاملين بالمؤسسة، وبين النزيلات أنفسهن، جعلت من الاعتماد على هذه التقنية أمرا معقداً.

فالنساء كن يرفضن المشاركة بدون أن يُبدونَ سبب الرفض، كما أن النزاعات فيما بينهن قد تمنعهن من مشاركة مجموعة بؤرية واحدة، ثم إلى الثقة، إذ أنهن أحيانا يتخذن الحذر من بعضهن البعض، بالإضافة إلى تمثلاتهن حول البحث الميداني باعتباره ممارسة أو إجراء قانوني، إذ كُنَّ يَسْألن عن مصير هذه المعلومات، مما يضطررن أحيانا إلى توجيه حديثهنَّ بناءً على مخاوفهن وغاياتهن، كإطراء إدارة المؤسسة، والحديث عن معاناتهنَّ الاقتصادية والاجتماعية... غير آبهين بالأسئلة الموجهة إليهن، فهنّ يعتبرن المقابلة فرصة للحصول على مكسب ما.

هذه الحيطة والحذر شملت كذلك النساء المُسِنَّات اللواتي قَبلنَ الانخراط في المجموعة البؤرية والمشاركة فيها، فبعضهن كن يتأكدن من موافقة إدارة المؤسسة، وبعضُهُنَّ كان يتأكد من عدم وجود كاميرا أو أداة للتسجيل، سائلين في كل مرة حول إذا ما كنتُ أسجل الصوت أو الصورة، ويتوقف بعضهن عن الحديث كلما لاحظن حركة القلم على مذكرة البحث.

عنصر الثقة، لم يرتبط لدى النساء المُسِنَّات بمتغير محدد، كالمستوى الاقتصادي، أو الوضع الاجتماعي... بعضهن انخرطنَ وكُنَّ أكثر انفتاحا واستعدادا للحديث منذ الوهلة الأولى حتى في المواضيع الأكثر جرأة -بالنسبة لمعظمهن- خصوصا تلك المتعلقة بالجسد، الجنسانية... إلا أن الملاحظ أن إدارات مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأشخاص المُسِنّين كانت تلعب دورا فعالا في اهتزاز أو تعزيز ثقة النساء المُسِنَّات.

هذا الرفض والحذر المبالغ من كل من إدارة المؤسسة والنساء المُسِنَّات جعلني أعَدِّلُ من أداة البحث من المجموعات البؤرية إلى المقابلات المعمقة، وهي تناسب طبيعة المقاربة المعتمدة، إذ أنها لا تعطي أولوية إلى أسلوب إحصائي معين بقدر ما تهتم بالتشبُّع "saturation" على مستوى المعطيات الميدانية. بالإضافة إلى تغيير طريقة اختيار العينة، وأن ألجأ إلى العينة غير الاحتمالية، إذ أنها لا تستند على أسلوب إحصائي معين، بل فقط لتعكس سمات داخل مجتمع العينة وذلك عبر تحديد "الميزات المحددة للنسبة (quota) التي يجب أن تستند إليها" (Ilker & Bala, 2017,P.215).

هذا التغيير، كان بمثابة توافق ضمني مع مديري المؤسسات، إذ جعلني أعتمد على النساء المُسنات اللواتي اقترحنَ علي إجراء مقابلات معهن، قبل أن أتمكن من توسيع دائرة لمقابلات، التي كانت تتسع كلما اتسعت دائرة الثقة داخل المؤسسة، خصوصا وأن معظم النساء المُسنات كُنَّ يُبلِغْنَ المدير بمسار المقابلة، والأسئلة التي طرحت.

ما جعلني ألجأ أيضا إلى هذه الطريقة في اختيار العينة، هي أن هذه المؤسسات لا تضم النساء المُسِنَّات فقط، بل نساء منتمياتٍ لفئات عمرية أخرى، كما أن المُسِنَّات من النساء أغلبهن لا يتجاوبن بشكل طبيعي، فمكانهن المناسب ليس في هذه المؤسسات كما أشار أحد المديرين (أحمد. و، مقابلة، 20 نونبر 2023).

إذ أنهن يعانين بنسب مرتفعة من الاضطرابات العقلية والنفسية، تمنعهن أحيانا من التجاوب بشكل طبيعي والانخراط في حوار منطقي، إذ بعضهن يسهب في الحديث بشكل يشبه الهلوسة، عبر نطق جمل مبعثرة التركيب، متداخلة، غير مفهومة... في حين أن بعضهن يكتفين بالهَمْهَمَةْ، أو الصَّمْت المُطْبَق، دون أي حديث، بالإضافة إلى أن الاضطراب يتضح من خلال ملامح الوجه، كالنظر لنقطة معينة، تحريك الرأس، بالإضافة إلى صعوبة الاستيعاب، إلا أن العديد من هذه الحالات لم يتم تشخيصها طبيا.

إلا أن تكييف منهج وأدوات البحث قد لا يعزز بالضرورة ثقة النساء المُسنات، مما يتطلَّبُ إعادة النظر في آليات بناء الثقة وتدبير عملية "الموافقة"، واستبدال الموافقة الكتابية الكلاسيكية بالموافقة "المستنيرة" أو "الواعية" ( Informed consent) باعتبارها عملية ديناميكية مستمرة، وليست مجرد إجراء شكلي قبل بداية المقابلة، خصوصا وأن استمارة الموافقة حسب العديد من الباحثين قد "تأتي بنتائج عكسية"، إذ أن الفئات الهشة تربط هذه الإجراءات بممارسات قانونية قد تنعكس عليهم سلبا (Owasim, 2021, P 5).

إن اكتساب ثقة المشاركين في البحث، خصوصا المنتمين إلى الفئات الهشة اجتماعيا يطرح العديد من الإشكالات الأخلاقية، وهو ما أشار إليه العديد من الباحثين، بأنَّ بناء الألفة مع المشاركين في البحث يحتاجُ إلى تفاوض مستمر، مع الحرص على ألا تتحول إلى صداقة، والذي قد يؤدي إلى الانحياز في اختيار البيانات (Brayda & Boyce, 2014, P 321).

كما أن الاكتفاء بالإنصات ليس كافيا لبناء ألفة مع المشاركين في البحث، بل أيضا "إظهار الانتباه إلى ما يقوله المشارك واحترامه وإبداء الثقة فيه" (أحجيج، 2023، ص 50). بالتالي أهمية الحفاظ على المسافة المناسبة بين الباحث والمشاركين في البحث، بحيث أن العلاقة تُبنى على الاحترام والثقة، وأن تتسم بالمرونة حسب خصوصية كل مقابلة، خصوصا وأن المشاركين في البحث يتفاوتون من حيث خلفياتهم الاجتماعية والطبقية والثقافية.

### 1.3- المنطق المؤسساتي وسوسيولوجيا المشاعر

ساعدنا فهم المنطق المؤسساتي للانخراط في تفاوض مؤسساتي حول إجراءات جمع المعطيات، فالمؤسسات تتسمُ بتَعَدُّد الفاعلين الاجتماعين: المدير؛ والصحافة؛ والأفراد المُسِنّين؛ والسلطة المحلية... مما يجعلنا أمام عوالم اجتماعية تختلف باختلاف الفاعلين، فَكُلٌ مِنْهُم يَحْمِلُ حقيقته الاجتماعية، وهو ما يجعل من الفضاء المؤسساتي فَضَاءً للتفاوضات، وأحيانا لعلاقات الصراع، صراع حول: السلطة، والمعرفة، والشرعية.

فالدور الرقابي الذي تُمَارسه المؤسسة، لا يجعلها مَحْمِيَّة من الرقابة هي الأخرى، خصوصا الرقابة الخفية، التي تتجلى في الفحص المستمر للزوار، ومراقبة تصرفاتهم، خصوصا الزوار الذين قد يمثلون مصدر تهديد (الباحثين؛ الصحافة؛ جمعيات المجتمع المدني...) والذين قد يكشفون "إخفاقات" المؤسسة وهو ما قد يُهَدِّدُ شرعيتها، وقد حاجَ مديري المؤسسات بأن مؤسسة الرعاية لها معرفة بنزلائها، وبظروفهم، وهو ما تجهله المؤسسات الأخرى، مما يجعل المدير لا يقبل جميع الزوار، كما أنه يحمي شرعية المؤسسة التي يُديرها، ويواجه الوصم المجالي المتعلق بها. في المقابل فإن مؤسسة الرعاية تعيد توزيع المجالات الموصومة داخلها، وهي المجالات التي يتركز فيها الأفراد غير المنضبطين للنظام المؤسساتي.

فهم هذا المنطق جعلنا نركز على عنصر الثقة، بداية من شرح حيثيات البحث، والحرص على سرية المعطيات، والتأكيد على إخفاء كل الإشارات المتعلقة بمؤسسة معينة، كما أن اكتساب الثقة لا يكون من طرف المدير فقط، بل من العاملين داخل المؤسسة، والمساعدين الاجتماعيين، إذ أنهم استطاعوا توفير ظروف أمثل لإجراء المقابلات الميدانية.

كما أننا توخينا الحذر خلال المقابلات الميدانية مع النساء المسنات، خصوصا وأنهن فئة هشة، وأن العديد من الأسئلة قد تثير مشاعر الحزن والبكاء، وحرصا على سلامة المشاركات في البحث، ذكَّرنا كل مشاركة في البحث ببروتوكول المقابلة، وإمكانية رفض سؤال أو عدم الإجابة أو الانسحاب، بالإضافة إلى إمكانية التوقف عن إجراء المقابلة في حالة التعب والعياء. إلا أن المفارقة أن معظم النساء المسنات أقبلنَ على الحديث وانخرطن في المقابلة بشكل عفوي، واسترسلن في الحديث، كما أن بعضهن اعتبرن المقابلة كانت بمثابة حصة (علاجية). وهو ما جعلنا أمام اختبار صعب في الحفاظ على الحدود بين النساء المُسنات وعدم التحول من "باحث" إلى "مُعالج".

فالمقابلات الميدانية بالنسبة للعديد من النساء المُسنات هي حيز تواصلي، يتيحُ لهُنَّ الخروج من العزلة الاجتماعية ولو بشكل مؤقت. مما يجعل المقابلات الميدانية تؤدي أحيانا وعن غير قصد أدوارا علاجية. فـ" كل من المقابلات الميدانية، والممارسات العلاجية يتضمنان كشف جوانب من الذات، والبوح بخبرات شخصية حميمية في حضور مستمع فعال" (Dempsey & All, 2016, P.13 ). بالتالي فالمقابلات الميدانية هي فرصة للنساء المسنات لاستعادة السيطرة على سرديتهن الشخصية الخاصة، ومراجعة مسارات حياتهن، وإضفاء معنى عليها وعلى تجربة الشيخوخة.

كما أن انفتاحنا على سوسيولوجيا المشاعر، جعلنا نستثمر مختلف الانفعالات والإشارات أثناء المقابلات الميدانية، باعتبارها موارد اجتماعية تُنتج وتُستثمر داخل المجال المؤسساتي، كما أن الوعي بالدينامية العاطفية ساعدنا في تحسين أساليب التواصل، واحترام المسافات الرمزية التي تفرضها المؤسسة والمشاركات في البحث، كما أن المشاعر كانت من بين المداخل التحليلية لفهم دينامية العلاقات داخل مؤسسات الرعاية.

## 4-الخلاصة

إن الانخراط في التحقيق الميداني يجعل الباحث معرضا للعديد من الصعوبات، والتي لا تتلخص فقط في الصعوبات المنهجية والتقنية، بل أيضا الصعوبات العلائقية والانفعالية، أهمها مدى اكتساب الباحث لثقة المشاركين في البحث، ولقبولهم. وقد أبانَ التحقيق الميداني أن البحث السوسيولوجي في المجالات التي تتسم بالهشاشة لا يتطلَّبُ تمكنا منهجيا فقط، بل أيضا ذكاءً عاطفيا ومرونة في تدبير المسافة الرمزية، واستثمار المشاعر كمدخل للفهم وليس كعائق فقط.

وبناءً عليه، فإن استيعاب المنطق المؤسساتي باعتباره مجالا خاضعا للتراتبية والسلطة، مكَّنَ من موقعة ذواتنا داخله بشكل فعال، كما أن استراتيجيات اكتساب الثقة، مكنت من تغيير موقف النساء المُسنات من رفضهن الانخراط إلى البحث الميداني إلى الإقبال عليه. كما أن الاشتغال على سوسيولوجيا المشاعر، والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي ساهمت في توطيد علاقتنا بالنساء المُسنات المشاركات في البحث، وهو ما جعلهن ينخرطن في المقابلات الميدانية بشكل أكثر فاعلية.

نخلص إذن، إلى أن التمكن المنهجي لوحده لا يعتبر كافيا للولوج للميدان، خصوصا إذا كان يقع ضمن مجالات هشّة، كما أن الولوج للميدان مرتبط بمدى قدرة الباحث على تدبير المسافة الرمزية واكتساب ثقة المشاركين في البحث، دون الانتقال إلى منطق "المفتش".

كما نخلص في هذه الورقة إلى مدى أهمية المشاعر (الصمت؛ الرفض؛ الحزن؛ الهمهمة...)، وعدم اعتبارها عوائق منهجية يجب تجاوزها، إذ أنها موارد تحليلية تساعدنا على تفكيك المنطق المؤسساتي وفهم كيف تبني النساء المسنات استراتيجيات للمقاومة أو التكيّف داخل المجالات المؤسساتية.

بالإضافة على أن ممارسة الانعكاسية ساهمت في بناء الشرعية الميدانية، حيث ساهمت في تجاوز رفض المشاركات في البحث من النساء المسنات في وضعية هشاشة، وتحويل المقابلات الميدانية إلى فضاء للتعبير عن الذات والاعتراف بها.

أخيرا، البحث الميداني في سياقات الهشاشة ليس مجرد مجال لجمع المعطيات، بل فضاء للتفاوض الرمزي المستمر، واستثمار مختلف العراقيل الميدانية كمداخل للفهم، وإعادة بناء المعرفة السوسيولوجية من منظور المشاركات في البحث من النساء المسنات في وضعية هشاشة.

## قائمة المراجع

### باللغة العربية:


- "أحمد. و". (20 نونبر 2023). مقابلة ميدانية مع مدير مؤسسة الرعاية الاجتماعية للأشخاص المُسنِين [تسجيل]. 46 دقيقة.
- أحجيج، حسن. (2023). **البحث السردي في العلوم الاجتماعية: نظريات وتطبيقات**. مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال. (سلسلة التجديد في البحث الاجتماعي 1). ردمك: 9789920509121. 128 ص.
- بورديو، بيار. (خريف 2020). "المَوْضَعَة المشارِكة.. أو: في موضعة الشروط الاجتماعية للموضعة". ترجمة الحبيب الدرويش. عمران، 9، (34): 139-154.
- لكعشمي، عثمان. (2021). "السوسيولوجيا الانعكاسية عند بيير بورديو". تم الاسترجاع من الرابط التالي: 7https://url-shortener.me/3JC
- المملكة المغربية، المرصد الوطني للأشخاص المسنين. (2018). التقرير السنوي الأول حول الأشخاص المسنين. الرباط: وزارة الأسرة والتضامن والمرأة والتنمية الاجتماعية. التقرير الأول. ردمك 2-6-9782-9920-978. 114 ص.
- المملكة المغربية، المندوبية السامية للتخطيط. (2025). الأشخاص المسنون في المغرب: دراسة مستخلصة من نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024. الرباط. [PDF]. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

file:///C:/Users/OH/Downloads/Les%20personnes%20%C3%A2g%C3%A9es%20au%20Maroc%20_%20Analyse%20issue%20du%20RGPH%20de%202024,%20D%C3%A9cembre%202025%20(Version%20Arabe).pdf

- المملكة المغربية، وزارة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة. (2017). **الأشخاص المسنون في أرقام**. الرباط [PDF]. تم الاسترجاع من الرابط التالي:http://www.social.gov.ma/
- المملكة المغربية، وزارة التضامن والتنمية الاجتماعية والمساواة والأسرة. (2020). السياسة العمومية المندمجة للنهوض بأوضاع الأشخاص المسنين 2020-2030. الرباط [PDF]. تم الاسترجاع من الرابط التالي: https://shorturl.at/Iszky

**باللغة الفرنسية:**

- Borderon, M,. & Oliveau, S. Vulnérabilités sociales et changement d'échelle, *Espace populations sociétés*, (3), 1-16. disponible sur: https:// 10.4000/eps.7012.
- Castel, R. (10 Mai 2010). Entretien avec Robert Castel sur le précariat [entretien en ligne]. disponible sur :https://www.reiso.org/articles/themes/precarite/501-entretien-avec-robert-castel-sur-le-precariat.
- Castel, R. *Les métamorphoses de la question sociale une chronique du salait*. [version numérique, format EPUB]. Paris : Fayard, 1995. disponible sur : https://z-lib.id/.
- Centre d'études et de recherches démographiques, secrétariat technique. (2006). *RAPPORT NATIONAL SUR LA POLITIQUE DE POPULATION : PERSONNES AGEES AU MAROC : SITUATION ET PERSPECTIVES* [en ligne]. Rabat : Haut commissariat du plan. disponible sur: https://www.wmaker.net/testhcp/file/231663/.
- Institut national de santé publique du Québec (INSPQ), (2024). Représentations des personnes vieillissantes et du vieillissement dans les médias écrits d'information : ÉTAT DES CONNAISSANCES. Disponible sur : https://www.inspq.qc.ca/sites/default/files/publications/3565-personnes-vieillissantes-vieillissement-medias-ecrits-information.pdf
- Portets, N. (2018). Une approche philosophique de la vulnérabilité. À l'écoute d'une "toute petite fille". *Empan*, 111 (3),37-43. Disponible sur : https://doi.org/10.3917/empa.111.0037

**باللغة الإنجليزية:**

- Akram, O. (2021). Getting Extreme Poverty Narrated: Methodological Challenges of Interviewing Older Persons. *International Journal of Qualitative Methods*, *20*. 1-11. [PDF]. Retrieved from:shttps://doi.org/10.1177/16094069211016716.
- Brayda, W. C., & Boyce, T. D. (2014). So you Really Want to Interview Me?: Navigating "Sensitive" Qualitative Research Interviewing. *International Journal of Qualitative Methods*, *13*(1), 2014. pp 318-334.
- Dempsey L, Dowling M, Larkin P, (2016). Murphy K. Sensitive Interviewing in Qualitative Research. *Research in Nursing & Health*. 39(6):480-490. [EPUB]. Doi : 10.1002/nur.21743
- Etikan, I., &Bala, K. (2017). Sampling and sampling methods. *Biometrics & Biostatistics International Journal* 5 (6), 215-21. [PDF]. Retrieved from: https://scispace.com/pdf/sampling-and-sampling-methods-eeutbfht4b.pdf.
- Mulaj, J. (2023). Ontology as ideology: A critique of Butler's theory of precariousness. *Constellations*, 30 (4), 438-451. Retrieved from: https://doi.org/10.1111/1467-8675.12673.
- Ritchie, J. (2003). "The Applications of Qualitative Methods to Social Research". In: RITCHIE, Jane & Lewis, Jane (Eds), *QUALITATIVE RESEARCH PRACTICE: A Guide for Social Science Students and Researchers. 480-490*. London: SAGE Publications.